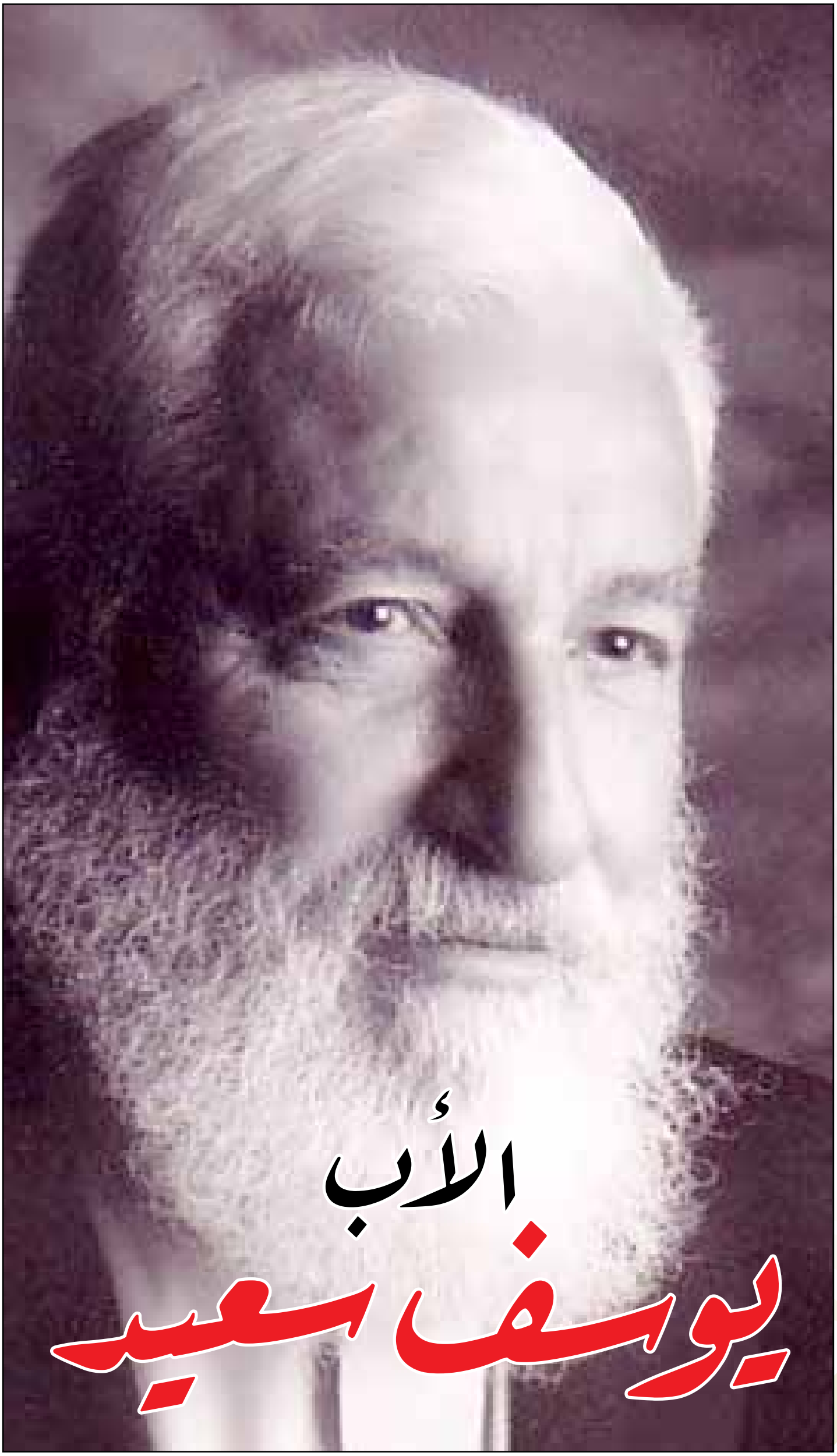

عراقيون

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

المدى

للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الادارة

رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5043) السنة التاسعة عشرة

الخميس(14) تشرين الأول 2021

الأب يوسف سعيد

آراميون
من زمن التوهج

الأب الشاعر يوسف سعيد الهائم في مملكة الشعر

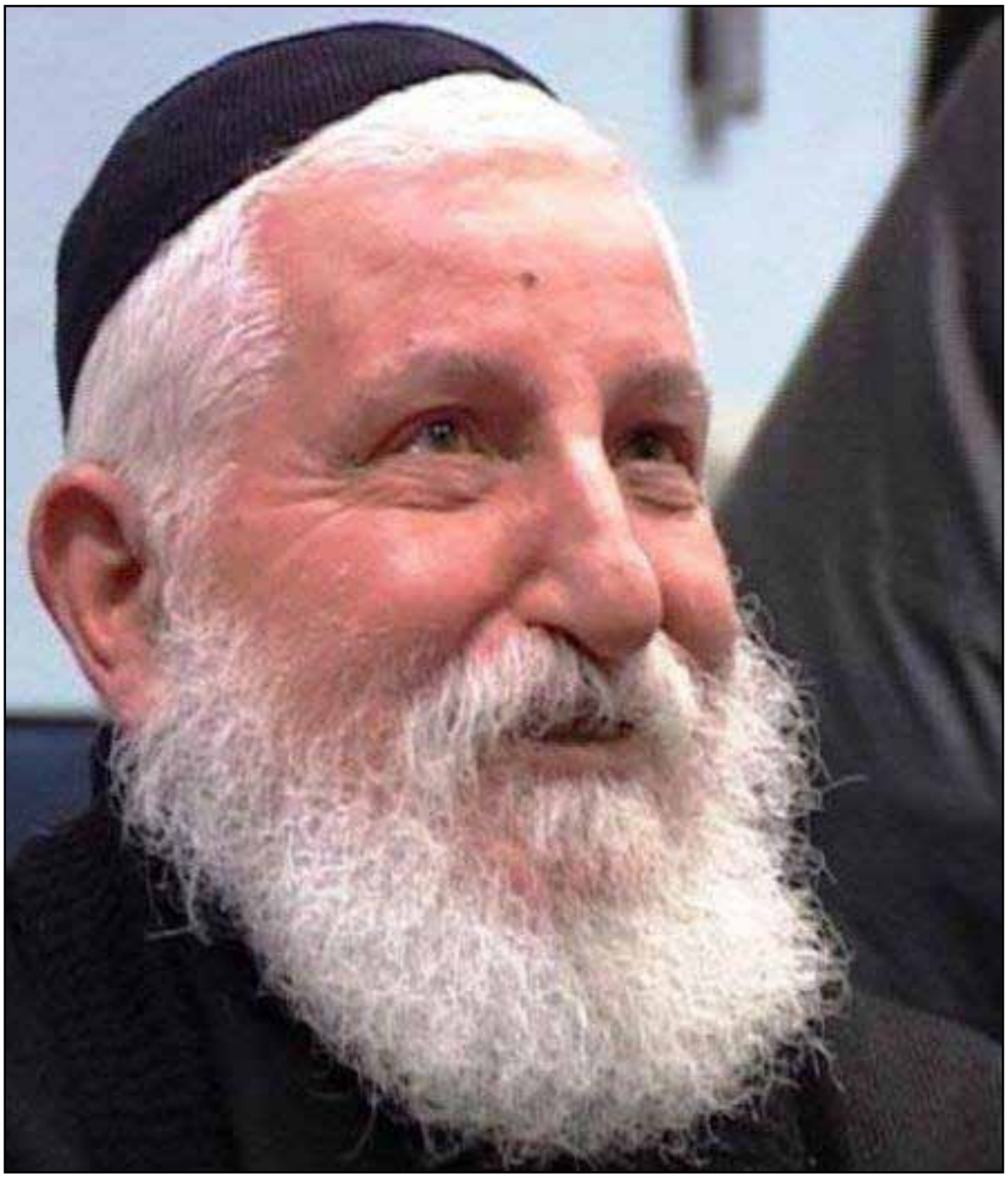

جلال زنكابادي

"على طريقتين نعرف اللّه،
اللّه الذي نتعصّب له الى حدّ الأنتقام، والدفاع عنه الى حدّ الأنتحاروابادة الآخرين. هذا اللّه لم أتعرّف عليه بعد...
وحتّى تتمتّع بحريّة اللفظة، وتحصل على لغة مجنّحة ؛ عليك أن ترتدي تاج المحبّة وتتقمّص اله المحبّة"

هكذا أجاب أبونا االشاعر يوسف سعيد؛ اذ سأله الأديب المعروف عبدالقادر الجنابي، كيف يمكنه كتابة الشعر؛ وهو راع في كنيسة؟!

لعل أهم ما تنطوي عليه عبارة أبوناهو عمق ايمانه بالتسامح، الذي يمثّل جوهر ما يستوجبه الأبداع الأنساني؛ مادامت (الجريمة والعبقريّة لن تلتقيا أبداً) على قول بوشكين العظيم

لئن خلق اللّه أبونا يوسف سعيد لأرشاد عباده الى مملكة الأيمان؛ فقد خلقه أيضاً ليهيم في مملكة الشعر بكل تضاريسها، حتّى اختلطت فروضه الدينية بتفانيه من أجل الشعر، الى حد تحويل الكنيسة، التى كان راعيها في كركوك الى خلية، يتناقش فيها شعراء ماركسيون.....!!حيث كان يسعى للسماح للشعر؛ كي يكون سكرة إلحاد، في بيت اللّه، على أن تكون كل قصيدة طبقة باطنة للأيمان، تفاحة تسقط من شجرة الخيال على فراش الأولياء! لكن هذا المسعى لرأب الصدع بين السماء والأرض، بين الشّك واليقين، بين العدم وجنّة عدن، في حقيقته (لغم معبّأ ببارود الكلمة !) على حدّ تعبيره هو؛ خصوصاً وأنه يستخدم التقنيات السوريالية (المعروفة كحركة إلحادية)!

حقّاً أن الأب هذا أغرب شعراء الستّينيّات؛ بسماته المتميّزة، وفي ديمومة وصيرورة عطائه الحيوي؛ بحيث يمكن تنسيبه الى كل أجيال النصف الثاني من القرن الماضي ! أمّا أهم ما بلور تكوينه ومهّد لحظوره المشهود؛ فهو- حسب اعترافه- التقاؤه الحميم والصميمي ب(جماعة كركوك ×) التي كان لها الدور الأساسي، في تطوره الشعري، اذ كان طموحاً نحو الكلاسيكيات (الاّ أنهم أعادوني الى الواقعية الحديثة. ما يدهش الى اليوم، هو أن هؤلاء جميعاً، حين التقيت بهم، كانوا في قلب الثقافة العالمية، يبحثون عن الجديد، واحدهم يحمل اكتشافه الى الآخرين، دون أن يفصلهم أيّ انتماء ديني، أوقومي، أوسياسي. انهم بالفعل أعز أصدقائي، وبدونهم لاأستطيع أن أتخيّل الآن كيف كنت سأتطور، أو ماذا كان سيكون أسلوبي وتفكيري في الحياة...) كما اعترف بنفسه.

ان أجمل اغراء وجده أبونا، في الشعر المعاصر(الشعر الذي ينبثق من حنجرة الأنسان، ويحمل ذبذبات عدّة، هو الأستفهام والسؤال، السؤال عبارة عن اضمامة يد تطرق على بوّابة اللّه، تريد أن تطرق باباً؛ لتسمع صوتاً. اذا لم تضرب على طبل؛ فلن تسمع ايقاعاً، واذا لم تتحرّك أصابعك على ناي أو شبّابة؛ فانك لن تسمع نغمة ...الرياح المتحرّكة، العواصف، الأستفسارات، النقاشات مع الربوبيّة، الأصوات في الغابة، في الليل، أصوات الحياة هذه كلها هي الشعر. أرتاح عندما أكتب؛ كأنني أبحث عبر خلجان اللاّهوت عن أجوبة لأسئلتي، لحيرتي، ولما يعتمل في داخلي وفي رأسي. اذاً، القراءة اللاّهوتيّة تثير أسئلة أيضاً، أي أنها لاتعطي ثوابت أبديّة وحسب. من هنا نجد أن قرّاءاً عظاماً توصّلوا الى التصوف والى التعمّق في التفكير حول الحياة وما يحيط بها من كون لانهائي) حسب استقصاء أبونا نفسه.

يتّسم شعر أبونا بأحداثه الصدمة والدهشة الشديدتين عند التلقّي؛ لغرابة صوره، النابعة من كيمياء البارادوكس (المغارقة) في تكوينها القائم على علاقات غير مألوفة وغير متوقّعة بين المفردات:

قال نثنائيل:
– أدعية التنّين ابتلعت أقدام عطارد
في الصباح أشرب أفكاري
وفي المساء أتعشّى صحو النجوم
من عينيّ اللّه تهطل جملة
سرمديّة)
من قصيدة(تصعيد)
(نصف القمر تضاجعه في السر
حيتان كهربائيّة
والنصف الباقي مذكرة ذهنيّة صاعدة الى الريح
الخضراء
وعجين عبقريّته أسطورة متفتّحة فوق أقدام الظلام)
من قصيدة(أسواق للضوء الآتي من القمر)
-(العواصف المجنونة تحمل غثيان الرّوابي)
-(الخضرة ترتشف جنون القاطرة)
-(أنين العجلة يطارد الجماهير)
-(تسافر البحار الى عينيّ سمكة)

سأكتفي بهذه الأمثلة؛ مادامت القصائد والشذرات الشعرية ستلي المقالة، والتي تجتذبنا بمنطقها الباطني، الذي ينظم شتيت مفرداتها وصورها!

يقيناً أن أبونا قد تأثّر في نزوعه هذا بالشعراء السورياليين، لاسيما وأن أحد أساطينها الكبار، وهو الشاعر الفرنسي بيير ريفيردي قد أطلق مقولته الذائعة، التي استحالت منطلقاً لشعريّة القرن العشرين، ومفادها:- (كلّما كانت علاقات الشّيئين، المقرّب بينهمابعيدة وصائبة؛ قويت الصورة وقوي تأثيرها في تحريك العاطفة، واشتدّ انتماؤها الى الشاعريّة)

ومع ذلك ليست سوريالية أبونا مستنسخة عن السوريالية الغربية، وانّما هي سوريالية عراقية – شرقية أصيلة بلحمتها وسداتها؛ لكونها نابعة من معطيات واقعنا، الذي يتعدّى بكل بداهة سوريالية الغرب المتخيّلة!!!

لم ألتق أبونا الشاعر غير بضع مرات، منذ أواخر 1985، ومع ذلك سرعان ما توثّقت عرى المودّة بيننا؛ كأننا متصادقان منذ سنين طويلة، فقد اجتذبني الشيخ المتألّق بروحيّته الشابة، أمّا هو فقد سحرته قصيدتي (يا أجمل من الجمال) حتّى أنه كان يردّد اهداءها(الى أرواح الكراسي الفارغة)، ثمّ طالما كان يرجوني أن أغني بعض المقامات العراقية والأغاني الكردية والفارسية والتركمانية والأفغانية، بل وطلب مني غير مرّة أن أزوّده بشريط غنائي ؛ ليستأنس به في المهجر، مستحضراًعبره الأجواء العراقية والكردستانية،لاسيما أثناء كتابته لقصائده، غير أني لم أفلح للأسف في تلبية طلبه وقتئذ، وانّما زوّدته بأكثر من 70 قصيدة كردية مترجمة من قبلي الى العربية(كل قصيدة لشاعر) سرّ بها كثيراً؛ حدّ طبعها على الآلة الكاتبة بنفسه في السويد، وتوزيع نسخ منها على الآخرين، حسبما أخبرني بذلك لاحقاً؛ وبذلك فقد قدّم لنا خدمة جليلة، اذ أوصل صوتنا الرازح تحت كابوس الفاشية العفلقية والدكتاتورية الهمجية الى الخارج، في تلك الظروف العصيبة..

عن 'السفر داخل المنافي البعيدة' للأب يوسف سعيد

أحمد محمّد أمين

نبرتُـه كهنوتيـةٌ صوفيـة، تجـري في دروب الحداثة. نـثره يُضاهـي شعـرَه، بـل يعلوعليـه. التقيتُـه مرّةً واحدة وكنا كحالمـين. أو لمّا نزلْ في حقـل أحلامنـا. مريضـاً ذابـلاً كان، لم أُطِل مكثي معـه. برفقة امـرأة كان، أعرفُها. هـي التي دلّتني عليه وعرّفتني به. على الرغم من أنّه أمضى ردحا من السنـوات في مدينتي كركوك. فما تحدّثنا في الأدب. تركتُهمـا ومضيـتُ لأجلس بعيـداً أقرأ في احـدى الصحـف العربية التـي تصـل الى مكتبة بيرفيلا. نعم قرأتُ شذرات من شعره هنا وهناك، لكنـي نسيتُها. وحينَ نُشرَ خـبرُ وفاته تألمتُ، فهو علامـةٌ بارقـة في الحداثة الشعريـة، سابق زمنه برغم كهنوتيته الصارمـة. لقد ظلمه النقدُ العربي مثلمـا بخس حـقّ الكثيرين من أمثالـه. قلتُ مرّة، وقـال كثـيرون مثلـي: انّ نقادنـا يلهثـون وراء الحيتان الكبـيرة والأسماء التـي تمتلكُ كلّ شيء مـا عـدا الآبـداع. وعـنّ لي أنْ أكتبَ عنـه، وأنا لا أملـك ديوانـاً مـن دواوينه. لكنّ صديقـاً على صلة وثيقة به أمـدّني بديوان له / السفرُ داخل المنافي البعيدة / من منشورات الجمل 1993. وقصائدُه محصورة بين مقدمة طويلة له بعنوان: الطفولة، وملحقة للشاعر العراقـي فاضل العزواي. مقدمة الأب يوسـف بغنائيتهـا الصادمة ولغتها المبتكرة المُكثفـة وايقاعهـا الصـوفي ترقـى الى مـا فـوق الشعر. والصورُ فيهـا مستقدمةٌ ممّا وراء الممكن والمُحـال. مبتدئةً بهـذه العبـارة: / يرمشون في الأرض أقدامَ حدقاتهم المُسـوّرة بحُلم من ذوائب العسل الـوردي /.. ومُنتهيـةً ب / حيثُ الشِعابُ ملتهبةٌ بتيارات الصواعق، مُكتنزةً أشعةً صَافية تُغدقُهـا على بـرزخِ العقل /.. وما بـين العبارتين النَاريتـين صواعـقُ ورعـودٌ وطوفـان هذيـان واشـارات برقيـة مأهولة بغرائبيـة لا تنتمي الى زماننـا. مثل: فوق الحاجـب الضاحك / يُطعّمون عواميدَهـا وقراميدهـا بذهـب الجَنّـة / من وجعِ اللحـم المُتقشـف / مُسحاءُ الليل يُطـاردون شبحا / مـن ظـلّ الرموشـ ..... ينتشـلُ رجـلٌ قميصَ وردته / أيّها الوعلُ الوديعُ أنتَ تحفظُ أسرِارنا / استيقـظُ في ظهيرة النخيل / أزمنةٌ تشيخُ بمادة البياضـ / أحرثُ وجهَك بطاقاتِ مللي / دجلةُ مع سرادقـه البيضـاء ينـامُ في سفوحـي / الحمامة تتـآكلُ في طيرانهـا / أحمـلُ أوسمـة هذيـاني / الخ...... الخ ...ثمّ.... ما بين المُقدمة والمُلحقة احـدى وعشـرون قصيدة. تتفاوتُ طـولا وثيمة، بعضُها حكاياتٌ اثيرية ذاتية تتحَلّقُ آنا في جدلية متماهيـة، وآناً آخرَغنائية مضبّبـة عصيّة لاتفتح سرّهـا لـكلّ أحد. وكلُّ عنـوان مُنطو علـى عوالمه المعقولـة واللامعقولة التي تبـدو لقارئها شططاً، جنونـاً، خرفاً،هذيانـاً، حكمةَ بَرد تـدقُّ يوافيخنا بوخـزات توقـظُ احاسيسَنـا المُتراخيـة المُتبلـدة مـن الترهـل والخمول. وربّتما لا أذهـبُ بعيداً إنْ قلتُ: بعضُ قصائـده قصصٌ قصـيرة يتوفّرُ لها شرطُها الفني. بكثافتها الصورية ودوالها المُعبّرة / قصائـدُ الى قريـة شبعـين / على سبيـل المثال. ص 17 ففيهـا ايقـاعُ قصصيّ واضـح / ويرحلُ المطـرُ حامـلا مخاضـ البحـر الى أدراجـه، بالعاً جرثومـة توحّمه، ثـمّ يُسافرُ في البعيـد البعيد / كمـا انّ بعضَ شعره يتمـرّغ في الغموض، مُنغلق ومنطوٍ على ذاته، يصعـبُ التغلغلُ فيه وملامسة سرّه وسحـره / قصيـدة: اسطيفانوسـ راعـي المائـدة المُتنقلـة / نموذجاً. صـ25–27: افرشوا رموشـَ أعينكـم لأزمنـة المحبّـة / يـا قدحـاً مثل الضلـوع / انّ الفريسة مُعلقةٌ على باب الجلاوزة الصغـار / نلبسُ ثيـابَ العطشـ / أرى جـدرانَ شمسـ هزيلة / فهـذه الاشراقات المبهمـة المُلغزة المتماهيـة في الإيجـاز كمـا لـو كانـت ايماضـات ترشق رموشـ الرائي مُتخمـةٌ بحدوس رؤيوية مأزومـة بغنائيـة جافة عاتمة لا تُشبـهُ الشعر، بل هـي محضُ ضربات خاطفة تظهـر وتختفي كلمح البصر. أمّـا / الظهـيرة / ص 28 فقصـةٌ قصيرة جـداً، توفّـر لهـا كيانُهـا وموحياتُهـا وتناصّهـا، شحيحـةٌ كلماتُهـا، ثريّـةٌ ومُمتلئـة مُحتـوىً: / انطفـأتْ سمـاءُ الظهـيرة في أحـداق جوعهـم، وغـارت قامةُ الأرضُ في أحلامهـم، يحملون ماءَ الجشع، تكوّرت شهوتُهـم كالتل المنفوخ بحجارة أثريـة / انها مشهدٌ قصّ يُمكـنُ تأويله وتضخيمه ومـدّه بتفصيـلات اُخـرى اذا اقتضـتِ الحاجة / لكـنّ يوسف سعيد آثرَ الإيجاز كمـا لوَ كان صائغَ ذهـب يقتصـدُ في ضرباتـه. وفي / ينابيـع / ص 29 زمـنٌ سُريـالّي متشابك يجيءُ طبقـةً فطبقةً، تُنتقـلُ من واحـدة الى اخـرى. وتحـوّلٌ صوري يتتـالى بسمفونيـة رقراقـة. ليّنة وقاسيـة في آنٍ / الرجولـةُ فقـدتْ مدينةَ العقل / باعـتْ من دسمِ الضمير / ستموتُ ويبقى ظلُّ إزارك وارفاً / وفي / زبَـدُ مُنتشـلٌ مـن رصانـة العقل / صـ 30 تمرّ الصـورُ أمـام الباصـرة جزافية غرائبيـة جارفة، غريبـة وصديقـة، قريبة وبعيـدة. عاليـة ودانية في آنٍ / أحتسـي مـن خريـر السواقـي / الكأسُ تحمـلُ أحشـاء الذبيحـة / .... بينمـا تذهـبُ / الهزيعُ الأخير / ص 32 الى منعطف غريب يغرفُ جرأتَه من صوت يخدشُ الفكرَ المأهول بالواقعية، مشـوبٍ بحوار هـاديء / أترفضُ؟ / لا، لا / حتى لـو كان آتيـكَ / رماداً، ذهباً، جلجلـةً، خبزاً وخلّاً /.. اوتـادُ لهـا رحـمٌ مُطأطـيءُ اللـون / عيناهـا كحُريّة صدئة / اليست هذه وخزات توقظ حياءنا وخجلنـا النائمـين، وتستفزّنـا لنتأمـلَ ونعتمـدَ الفكـر؟ ولنسمعْ هذه العبـارات.. ص 34 / تعالي مـع الألـوان / سنـونٌ أسـيرة في حدقـة لامرئية / أنـا مـن الشـيء اللامنقسـم علـى ذاتـه / ابتلعُ رُعبـي الجائـعَ / اندسُ في لحاف الحُلـم / يُقمّط يديه بدفـءِ الضحكـة / ولا أظنّ أحداً قبل يوسف سعيد أو بعَده سيجرؤ على قول مثل ما قاله. فهذه الصـورُ حداثية غيرُ مطروقة ولا تمُرّنَ ببال أحد. ومثلُ ذلـك: يشـربُ حداثة المـاء / ويرتدي تراث البحـر / صـ 45. وبقية القصائد مـن ص46 الى صـ60 تزدحمُ بهذه الشطحـات الخاطفة المأهولة بصور وايماءات لا قبلَ لنا بها. تُباغتنا بالذهول، فنُصغـي اليهـا بعقـل منفتـح وصبر فيـه مرونة وتأمـل: / لمـاذا تُلبسُـً شيخوخـةَ عمّـي سروالَ الغـروب؟ /.. حبذا لو كانتْ يـدي ميناءً لرغباتكم صـ 50– 51 / الآبـادُ تعيشُ في صيام الصخور / كلمـاتُ لهـا قصبـةٌ ظلُّها رقيـقٌ /.. ص 52–53 / للصمـتِ كثافةٌ.. ص56 / أيّهـا الشعرُ ما أطيبَ ذاتي وهيَ تتأمل حلمَ الأطفال ؛؛ ص 54 / معذرةً، لـو كنتُ على قدر من الوعي النقدي لأعطيتُ هذا الديوان حقّـه الذي يستحـق، ولم أكنْ حين كتبتُ هـذا الإنطباع سـوى عابر خجـول، قلتُ مـا رأتْ عينـاي، وما حفظتُـه ذاكرتي. السفرُ داخل المنافي البعيـدة / في حاجـة الى نقد ذي رؤيـة أكاديمية حصيفـة تنغمسُ وتخوضـ في كل اشعـاره ويقوّمُها وفق طرح علمـي نزيه. هذا الأبُ الجليلُ باقٍ في شُرفات أيامنـا انسانـاً وشاعراً وروحانيّاً كانً يلامسُ احبتَه بحنان أبوي كله رضا وتسامحٌ ودعوة الى التلاحم والتأخي.

عن: القدس العربي

مملكة القصيدة عند الشاعر الأب يوسف سعيد

حاتم الصكر

لم ألتقِ الرَّاحل العزيز الأب يوسف سعيد شخصاً لكنني عرفته نصًّا. كان اسَمـه يأتيـني محفوفـاً بالغرابةِ والدَّهشـة: أب مقدَّسٍ يلتفتُ إلى فتنتنـا بالحداثةِ وعِراكنـا حولَ التحديثِ والنـثر في الشِّعر بل يصـوغ نصوصـا تفَلت من شِبـاك التقليد الوزني لتعـبر إلى الضفة التـي نصطف فيهـا تحت لافتـة التحديـث العريضة ولكـن الموحدة لنبضنا التوّاق للتغيـير في بنيةِ القصيدة التي تجمِّد دمها وتجعَّدت ملامحهـا ونالهـا من التقليد مـا جعلها هدفاً للعزلـة والانزواء خارج زمنهـا وإطار أو سياق عصرهـا الضاج بالتبدل والتغيير في مناحي الحياة المختلفة والفنون والآداب بالضرورة.

إذن كنتُ أتساءل ما الذي يأتي بخطى زائر سماوي إلى محنة دنيوية كالتـي اضعنا عمرنا ووقتنا في تقليب أوجههـا والمساهمة بتواضع في المنافحة عن الطرف المجدد فيها؟

كان لجيـل الستينيـات وشعـراء كركـوك – ولـن أستخـدم مصطلح جماعـة لتحفظي عليه– يد واضحـة الأثر في ذلك العراك – لا الحراك – فلفـت انتبـاه الجميـع هـؤلاء القادمـون مـن هناك حيـث كركوك التـي وصفهـا الأب يوسف بأنهـا مدينة ضاحكة بالنـار والنور وأن هواءها معبأ بالقصيدة.. قدموا بثقافة أخرى مضافة لانغماسهم في لجَّة بغـداد التي تمورُ بالجـدلِ والتحوُّلِ ثقافياً متغلّبـةً على الواقع السياسي والاجتماعي ومتجاوزةً أزمنةَ التحجُّرِ والتفرقة.

وظهـرت بصماتُهم في الشِّعر خاصةً والصحافـةِ الثقافية والندوات لا سيمـا في مجـلات: الشعر 69 والكلمة و شعـر والآداب البيروتية والصفحات الثقافية في الصحف العراقية.

وكان الأب يوسـف سعيد يظهر وسط ذلك المد الحداثي النشط بارزاً كمركـزٍ للاصدقـاء الشُّعـراء والذين يمكن تبرير لقـاء الأب بهم وفي رحـابِ الكنيسـة بَقوله هو نفسـه في وصفهم (أنَّهـم كرّسوا حياتهم تمامـاً للثقافـةِ والشِّعـر، يعيشـون بزهـد، بـلا طموحـات ماديّة أو وظيفيـة، وبقَـوا هكذا حتـى الآن. ما يدهشُ هو أن هـؤلاء جميعاً، حين التقيت بهم، كانوا في قلب الثقافة العالمية، يبحثون عن الجديد. واحدهـم يحمل اكتشافه إلى الآخرين من دون أن يفصلهم أي انتماء دينـي أو قومـي أو سياسي) كمـا تدلنا عناوين كتبـه الشعرية التي صـدرت منذ الخمسينيات حتى العقود الأخيرة على منهجه الفكري، فهو – متمثلاً جبران خليل جبران – يرى ان الشاعر ليست مملكته في هـذا العالم كما قال السيد المسيح عن نفسـه ومن بعد يصبح الخيال فضـاء الشاعر أو مملكته ويصـير المنفى سفراً مستمراً كما يقول في عنوان ديوان له ظلَّ قريباً مني في أسفاري ومهاجري المتنوعه!

إنه (السفر داخل المنافي البعيدة) وفيه تتجلى طريقته الشعرية التي لا يمكن عدها ضمن شعرية قصيدة النثر لابتعاد قصائده عن إيقاعها ولغتهـا بل هو أقرب إلى الشعر الحر بالمعنـى الإنجلو سكسوني أو الشعر المنثور في النظرية النقدية العربية.

شعـر يستفيد مـن إيقاعات الخطابـة ولغة الكتـاب المقدس والصور المتجلية في خيال قريب للسوريالية التي ألهمت جبران ذلك الهيجان الصـوري اللافت كتابـة شعرية تقـترب من موضوعهـا لتلامسه ثم تبتعـد برهافة ورقّة وانتقاء لفظي وتركيبـي تبرق بين ثناياه صور شديـدة التاثـير في المتلقي الـذي يتابع نمو القصيـدة فتأخذه لغتها بعيدا في طبقات القصيدة.

أطفر كخفش لأيائل في جزء من
وجهك السرمدي،
أتوقَّف، أراقب مواكب الآزال والآباد
أحتسي من خرير السواقي الخالدة

هذه المدرسة الشعرية المصطفة في الشعر المنثور او الحر باصطلاح جـبرا ابراهيم جبرا ستفلح عـبر نماذج الاب يوسـف سعيد بإحياء الاسلـوب الجـبراني وأوليـات أمـين الريحـاني في شعـره المنثور وتجارب روفائيل بطي المبكرة في النصف الاول من العشرينيات.

وعبر هـذا الوئام بين الروحي والشعري، بـين الإشراقي واليومي، المعنـى والشـكل تجدد شعـر الأب يوسـف سعيـد وكان ضمن رعيل الحداثيـين حيـث استقبلتـه مجلـة شعر وهـي في عنفـوان دعوتها لقصيـدة النثر وهجـوم التقليديين علـى حركات التجديـد الشعرية والثقافية عامة.

لقـد ودع الأب يوسف سعيـد عالمنا المكتظ بـالألم واستقرَّ سفره بين المنـافي البعيدة أو داخلهـا كما يصر أن يقول ليرسـي بسلام روحه وطمأنينتها بينما تظـل كلماته تملأ الأفئدة بيقين نموذجي عن إخاء الروحي والدنيوي، والشعري والقدسي.

بمـا يمكـن وصفـه بوعـي مضـاف لشخصيـة الراحـل الفـذ شاعراً وإنسانـاً.

العدد (5043)
السنة التاسعة عشرة الخميس (14) تشرين الأول 2021

الأعمال الشعرية للأب الشاعر يوسف سعيد

شاكر مجيد سيفو

يقترح الأب الشاعر يوسف سعيد في مقدمة كتابه الشعري"الموت واللغة" بيروت 1984"قراءة مفتوحة للنص الشعري الذي يتحول عنده الى كتلة لغوية وهاجة تنبني وتشتعل في نفس اللحظة بالشعرية المدفونة في اعماق اللغة الشعرية التي تتدفق بانثيالات لا تحصى..يقول:

"هذه مجموعة شعر؟. أتراه نثراً؟ سيان عندي أتريده قصائد؟ لا أعترض. أعرف شيئاً واحداً، هو أنني كتبته في حالات شاعرية، خاصة بي لا أستطيعها كل وقت. أحياناً تجد البيت حكمة. وأحياناً تجد أبياتاً مقفاة، ومتناقضات، وهروباً، وهرولة كل هذا انفعال في أعماقي. أما الهروب، من فكرة إلى ثانية فلأن في الهرب عطاءً جديداً، ونفسي في تهويمه مضطرب.. الصور تتزاحم على الشاشة، تريد أن تستمر أمامي على الورق وأنا أحشرها بعصبية فتأتي في نظر القارئ كالحملان المذعورة تندفع من أعلى الجرف، إذا ما حوصرت من الذئاب. وقبل مسح المداد أقول: إن لمجموعة الموت واللغة قصة..

كانت تربطنا بالمرحوم رئيف خوري الأديب الفذ، صداقة عميقة. وكان رئيف إنساناً، حيا في إنسانيته، عظيماً في تعبيره، ذا رسوخ في الأدب.. وفجأة غيبه الموت، وكأنني بموته وجدت أشياء جديدة في عالم الموت. وعشت في جوف دوامة أربعين يوماً، وأربعين ليلة أكتب ما يعصره المجهول عليّ... وولدت هذه المجموعة، تجربة تحاول أن تتجاوز الموت باللغة..! "تراني وقفت أمام الجدار أم اخترقته" الصدقة تكشط جلدها الأخضر إضمامة من الأعوام العتيقة تتجدد تفور على نفسها تغلي أقدامها في مرجل تخشو شب، ثم تموت في تابوت اليبس تختنق في بحيرة القمر تنبت على أخامص الربيع رعشة تجتر أياماً." في ديوانه الاخر "ويأتي صاحب الزمان قصيدة" السويد 1986/11/5ويأتي صاحب الزمان. في كفن الأسطورة الوردية، جففت كلمات إنجيل المحبة وقلت لقافلة القديسين، هل اللحظة، في بؤبؤي عين النجف العذراء، قلادة، وسادة، سبحة من شيخ؟.. ومن قناديل لها ضوء أخضر، سربلت جدائل المدينة، بأشعة زرقاء، ومسحت عن كاهلي، كلمات نيري السميك: وقلت للفتى الغرير يا صاحب الزمان، توجت هامتكم بإكليل الشهادة، وجذبت كتلة بيضاء، من نور، تسربل نبض النبوءة ترقط الأحرف الزرقاء، فجوات من بهاء،.. تريد أن تحمل على قماشة بيضاء كلمات تعازيك، إلى كربلاء.»

ومن ديوانه الاخر "طبعة ثانية للتاريخ بيروت- "1987إيماءات

«انعكافات نهرية داخل أزمنة مهرولة فوق جسر الذهول. صبير يفتح دربا في صدر الفضاء ليحلب أثداء متدلية جلد معبأ باسفنجة بحرية. ومن ديوانه الاخر: الشموع ذات الاشتعال المتأخر بيروت-1988

الموصل

فيها نار تتقمص روحاً كبريتية، فيها حضارة متباعدة، يلمع اسفينها الأخضر كحجرة ساقطة من نيزك صبائحها، تتقمص لون البنفسج. في جناحيها، هزة رجراجة، كمطر كسول. الموصل.. غاباتها تداعب حشرات لامعة، جدرانها تتنفس رحيق الطحالب. أهدابها الوردية تستقطر خلاصة رحيق الزعفران، الموصل، اخصاب مبارك، الموصل، دائماً محجة لاسراب الشكارك، والفختيات والكوكختي تطير في نهارات صيفية معتدلة.. الموصل، لها كب يتقعر لاحتساء لون القثاء." ويسافر بعيداً "السفر داخل المنافي البعيدة قصائد-1993

شهادة

«ذهب الجنة في شعر يوسف سعيد بقلم فاضل العزاوي»

يبدأ الأب الشاعر يوسف سعيد ديوانه الجديد "السفر داخل المنافي البعيدة "بنشيد عن طفولته في مدينة الموصل. نشيد هو أشبه بالحلم، يشمل الديوان، ينبثق من مخيلة تستعيد أشباحاً تطعم المساءات البعيدة بـ"ذهب الجنة". هذه القصيدة التي تختصر نصف قرن من حياة الشاعر تمزج الزمان كله وتطلقه مثل نهر هادر في قصيدة تقوم على هذيان الذاكرة، حيث "قصائد الهذيان الأكبر حتماً تترف مليون فكرة سعيدة "كما يقول الأب يوسف سعيد. والهذيان هنا هو أن ترفع الرقابة عن العقل وتدع الروح تعول

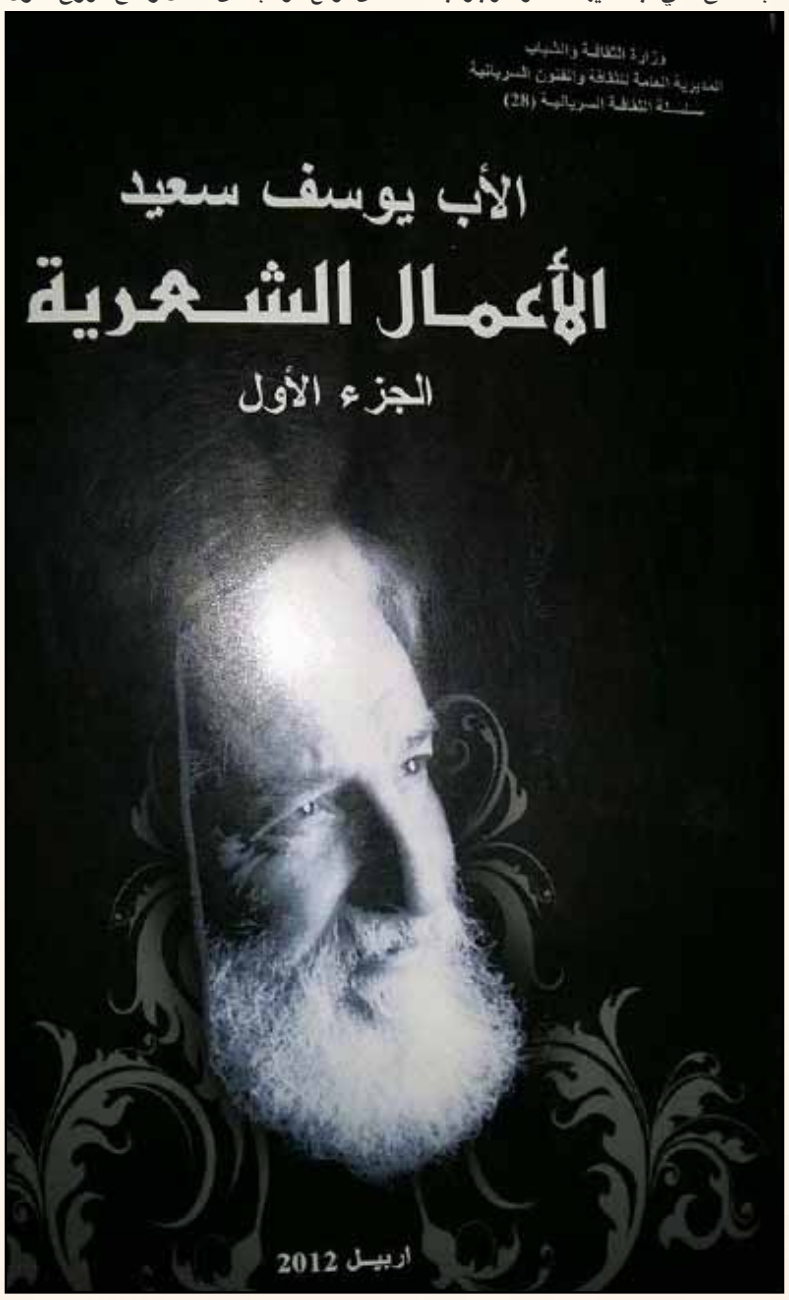

أو تعوي أو تغني، كما تشاء خارج الأقفاص الكثيرة التي يقيمها العالم باستمرار.

وهذا الشعر القائم على عفوية القول والذي تتوالى فيه أكثر الصور غرابة هو في الوقت ذاته سلّم الشاعر إلى الحقيقة الأعمق في الكون والحياة. ها هنا تلتقي العفوية السوريالية الشطحات الصوفية، ضمن نسيج خاص، يوحد بين اللغة الدينية برموزها الميثولوجية ولغة الحياة اليومية: خميرة واحدة ويتحول خبز عشيرتنا إلى جرار معبأة بدم الحياة. هذا المزج بين السوريالية والصوفية يتداخل عند الشاعر يوسف سعيد بقوة أخرى، تتمثل في شهوانية عميقة للحياة، تقوم على رموز تشير وتومئ وتوحي من بعيد: هل ستأتي امرأة الحي إلى ديارنا؟ هل سترقص عارية قرب سرير من الجوز؟ كل القصائد مليئة بقلق وجودي يفتك بقلب الشاعر. ها هو يجلس وحيداً في منفاه "مراقباً ولادة الضوء في هياكل المجرات البعيدة».

وما يمكن للشاعر أن يفعل سوى أن يطرح أسئلة، لا يعرف أجوبتها، لماذا رحلاتي داخل المنافي البعيدة؟ أو: لماذا تلبس شيخوخة عمي سروال الغروب؟ أو: هل في أسفار الله نقاط حبر؟. إنه هنا لا يبحث عن أجوبة. وهل توجد أجوبة عن أسئلته؟ ما يهمه هو نشيد روحه الملتاعة والحاشرة أبداً: يأتي الليل وحدي أتفرس صمته طارداً أفاعيه عن سفينتي التي أتعبها البحر.

في كل شعر الأب يوسف سعيد حب للعالم وإنسانية عالية بعيدة عن جذورها الروحية وبراءة رؤياها. هنا لا يضفي على موضوعه أي طابع أيديولوجي، ولكنه في الوقت ذاته يرى تعاسة الناس، يرى الفقر الذي طارده في طفولته ويدين كل من يرغم الشاعر على الصمت: من يقتل شعراءنا يحذف مليون حكمة من دفتر الشرائع. ولكن الشعراء يقتلون كل يوم، وفي كل مكان، تماماً كما قتل الجلادون ذات مرة الذي جاء لينقذ العالم من شروره. إذا كان الشاعر هو صورة عصرية للنبي القديم فإن الجلاد هو نفسه، الآن وفي الماضي: وعندما تتم عملية الصلب بحذاقة يعرف الجلاد جيداً كيف ينزّ حزن الدموع عن عقل الجسد. ومن ديوانه الاخر.

سفر الرؤيا

وهو الأخير من أسفار العهد الجديد قصائد وانطباعات 1994

كلمة عابرة

هذا السفر هو السفر المقفول، والموصد والمغلق، وتأويلاته لا تعد ولا تحصى. وأرقامه تشبه زوبعة بحرية وعندما تقرأ باقي الأسفار كأنك السالك في طريق صحراوي تعرفه أرباب القوافل. وإذا سلكت فيه، فما عليك إلاّ أن تنظر إلى العلى: فترى سماء زرقاء وآفاقاً بعيدة وإذا جاء الليل. ففي سيرتك الطويلة تكتشف نجوماً متحركة، متقاربة وأحياناً منفصلة. لها أنفاس تصدر عن جسدها وكواكب خضراء ودروب التبانة كضربة فرشاة في وعاء المحبرة الكبيرة. سفر يأخذك إلى عوالمه السحيقة وتستشف أنظارك خيالات جميلة واشراقات رائعة، بعض من درسه أراد حذفه كلياً من أسفار الفلك وبعضهم عطف على نصفه. وآخرون لم يجدوا فيه مبتغاهم.

ابن العراق الأب الشاعر يوسف سعيد .. كنز وعطاء لا ينضب

ادورد ميرزا

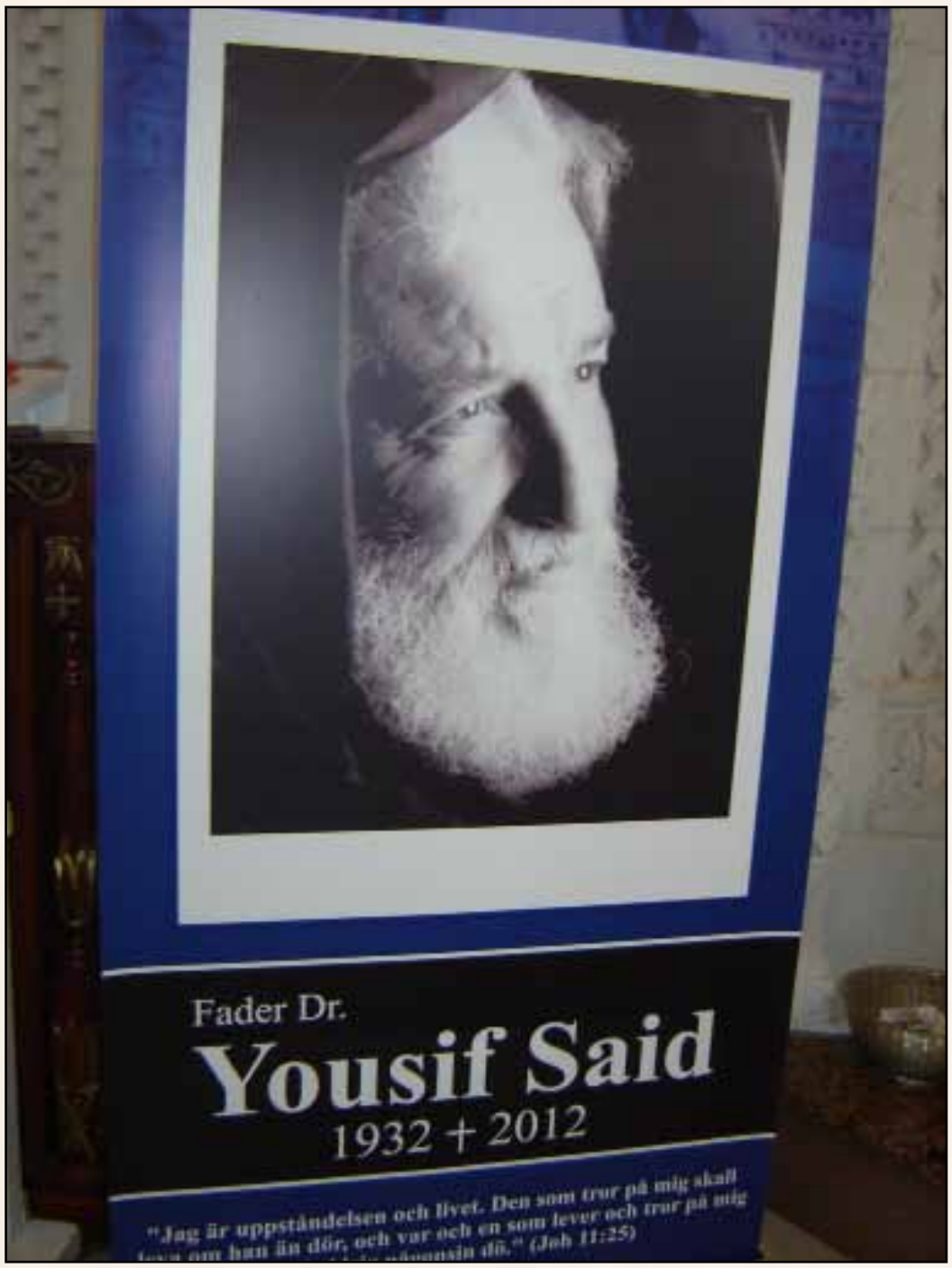

وانا اشاهده من على شاشة فضائية سوريويو سات والتي تبث برامجها من دولة السويد , حيث تم تكريمه لحصول صورة له كان مصورا قد التقطها فحازت على جائزة اجمل صورة , وهو تكريم جديد ليس له علاقة بالشعر والأدب ولكنه اشارة لما يتمتع به هذا الشاعر الكنز والمعطاء من مميزات .

انه الشاعر والأديب ابونا يوسف سعيد ...والذي ما زالت حنجرته شابة عذبة عذوبة النبع الذي لا ينضب. بالأمس القريب كُرم ابونا الشاعر يوسف من قبل مؤتمر البطريرك افرام برصوم في ستوكهلم ٢٠٠٧ حيث قدمت له رابطة الأكاديمين السريان الأراميين جائزة تقديرية لجهوده ومثابرته وابداعه في مجال الشعر والأدب.

ان حياة ألأب سعيد و أسفاره و حبه للشعر و الشعراء ، قربته لبناء علاقات طيبة ولقاءات مفيدة مع العديد من الأدباء والشعراء امثال ميخائيل نعيمة واسحق قومي وميخائيل ممو والشاعر شربل بعيني وغيرهم الكثيرين من العراقيين والعرب .

وقد يكون هناك ممن لا يعرفون شيئا عن المجتمع العائلي الذي يحيط بالقس يوسف سعيد ، فيوسف سعيد ... أب بهي الطلعة وديع المعشر ، فحين يتواجد بيننا فانه يكون كالشمعة في ليلة سويدية ثلجية ،حيث ترانا نلتف حوله للدفئ ولتنوير افكارنا منه ، يعجز قلمي عن توصيف يوسف سعيد فالاف الكلمات لن توفيه حقه ، انه نور يشع اينما جلس ..

يقول...○ الكتابة نبع لا ينتهي وهي تنفيس للانسان بها يتسلق إلى عوالم أخرى والركن الفاعل في تفاعيل الانسان المختلفة □.

كتب عنه الكثيرون من الأدبـاء والشعراء وكرم في العديد من المؤتمرات ، فهو شاعر" المربد" انه ابن العراق ، قال عنه الاديب هنري بدروس كيفا .. ○ فإلى محبي الأب الشاعر يوسف سعيد . تواضعه و ترديده بأنه من عائلة فقيرة يجب ألا يخفي عنا عظمته و غنائه الفكري و الشعري □. وكتب عنه الشاعر السوري اسحق قومي .. ○ لا أمدحُ ما ليسَ فيكَ أشهِدُ × وشهادتي معصومةٌ بيضاء □.

اما ابونا يوسف سعيد الشاعر والأديب فانه لم يركن لقراءة ما يرسل اليه من رسائل الشعر والنثر، انما هو الآخر فقد جاهد وارسل الى العديد ومنهم الشاعر شربل بعيني ورسائله منشورة على الأنترنت ويمكن الاطلاع عليها .

ولكن وبعيدا عن علاقات مجتمع وعائلة الأدب والشعر والذي يعشقه ابونا يوسف ، وبعيدا عن لغة الرسائل والهدايا وجوائز التكريم ....فان علاقاتنا العائلية وخصوصيتها معه قد تكون هي الأسمى والاعمق والأشمل من مثيلاتها من العلاقات ، فقربنا منه حين نجالسه مطمئنين نشعر وكأن العالم كله لا يعرف شيئا عن يوسف سعيد الا فيما يكتبه من شعر وادب ..

ولكن وقبل الشعر والأدب فانه إنسان مسيحي رائع محبوب متواضع بسيط كريم ، يتمتع بروحية الشباب الجميله ، فالضحكة لا تفارق محياه ، يوسف سعيد لا يكل عن تقديم النصح بأرق أسلوب وعذوبة ، وعندما تصغي اليه فانه ينقلك الى اعماق التأريخ بتسلسل جميل خاصة عندما يمسك بواقعة تأريخية مهمة ، يوسف سعيد لا يغضب منه أحد أبدا ولا يُغضب احدا قط ، فالجميع يحبه أنه أب بلا منازع ، فقد غمر الجميع بعاطفته الأبوية الناصحة الأمينة المخلصة ، أب على خلق رفيع نذر حياته في اكمال واجبه الديني والاجتماعي والثقافي ، حين يتواجد في مكان ما فانه يكون كالنسمة الندية حين تلامس وجه الانسان المتعب ، فكلماته الرقيقة والجادة والطيبة تضفي الكثير من البهجة والصفاء ، انه رائع تطمئن له القلوب ، وطيب يحب الجميع فأحبه الجميع ، ومهما قلنا عنه فلن نوفيه حقه أبدا ، ندعو ربنا ان يحفظه ويطيل في عمره .

فهنيئاً لك أيها الأب الرائع فاينما حللت تمتطي بساط الإبداع الادبي فتحلق في فضاءات التألق ، حضورك لؤلؤة تبدد الظلام . اينما رأيتك تتحدث ينتابني شعور بانك تمتلك صدرا يتسع لزلات الآخرين فترسل عليهم هتان من السموحة والصفاء ، انك بتواضعك وبسماحتك تطرد الشيطان من قلوب الكارهين . أيها الإنسان االطيب زدنا من لقاءاتك فانك والله تنثر الود على صحاري القلوب فتنبت رياحين المحبة ليستنشق عبيرها كل الأقربون والأبعدون .

أيها الأب والقس الأمين اراك عندما تتدثر بعباءة السماحة وتلتحف وشاح المحبة فانك تضفي على من حولك شأبيب السعادة والسرور ، فلطفك الذي يعانق عنان السماء وكرمك الذي يسابق هبوب الرياح وعبقك الذي ينساب كأريج إقحوان الربيع ونظراتك الحنونة كلها عطاءات ربانية كُلفتَ بها لراحة المتعبين . أيها الحليم بحبك للناس وبحب الناس لك قد فزت في الدنيا وفي الآخرة . واخيرا ....

وانا في نهايات الكتابة...وردني نبأ رقودك في المستشفى ..اتمنى لك الشفاء العاجل وعسى ان تكون وعكة صحية خفيفة...وتحية محبة وتقدير لكل صرح اعلامي يقربنا من عظماء شعبنا في العلوم والادب والسياسة والثقافة الدينية والدنيوية والمدافعين عن حقوق الانسان .

فضاءات الأب يوسف سعيد،

مهدي يوسف

فضاءات الأب يوسف سعيد، فضاءات مفتوحة على أبجديات الكون، لغة من لون الشفق الصباحيّ، من لون العسل البرّي، من لون الماء الزلال!.. من لون أرض خصبة، خصوبة الحياة، من لون تربة «بازبداي»، يحمل بين ثناياه بذور المحبّة، لينثر ذراته على وجه الدنيا لعلَّ هذه الذرات تعطي خيراً وفيراً للبشر، كل البشر!
الأب يوسف سعيد حالة شعرية متفرّدة للغاية، هو نزيف شعري متدفق في كل حين!.. لا أظن أنه ينتمي إلى (جيل ما)، انه جيل.. يتناسب أن نقول عنه (من كلِّ الأجيال..(!

صنّفه بعض النقاد من جيل الستينيات، لكن هل توقّف الشاعر عند جيل الستينيات أم تغلغل إلى كل الأجيال التي جاءت بعده؟!.. وهل هذا التغلغل تطاول على أجيال غيره أم انه انصهار تامّ في ديمومة تجديد الشعر عبر كافة منعطفات الأجيال المرافقة لمحطّات عمره؟..!
كيف يكتب الأب يوسف سعيد القصيدة؟..
الحياة عنده كتابة، والكتابة هي حياة متجدِّدة عبر غليان شعري.. ومن خلال تراكم هذه الغليانات، توصّل الشاعر إلى حالة ولا كل الحالات، انها نزيف شعري دائم.. يتدفّق شعراً كنزيف!
الزمان والمكان عنده ليسا مهمين، يكتب في أي زمان وأي مكان! وعندما يكتب قصيدة ما، لا تنتهي عنده، تبقى القصيدة مفتوحة، لأن النزيف الشعري عنده مفتوح على فضاء الكون!.. ولا يشعر بالموجودات التي حوله أثناء الكتابة، يتقمّصه الشعر فيكتب ويكتب ولا يتعب من الكتابة، كأنه في ريعان شبابه!.. وعندما يقرأ لكَ نصّاً ما كتبه، تجده يضيف جملاً شعرية عديدة غير مكتوبة، فتسأله: (...)، يضحك ويقول، هذه الإضافات لم أتمكّن الامساك بها أثناء ولادة القصيدة، لأنها كانت تتزاحم على مخيِّلتي بشكل هائج، فتنحّت (هذه الإضافات) مختبئةً ثنايا الذاكرة الشعرية النازفة.. الآن جاء دورها لأقطفها وأضعها في سياقها المناسب.
ولكن هل تستطيع الإمساك بما يفلت منك من الجمل الشعرية المتدفّقة؟
لا، لا أستطيع أن أمسك بكل ما يفلت منّي، آخذ نصيبي وأترك الآخر يداعب ثنايا المخيلة، إلى أن تحينَ فرص أخرى.
عندما يزورك الأب يوسف سعيد، ضع في الحسبان، أن يتوفّر في أركان منزلكَ أوراقاً وكتباً وأقلاماً!.. انه جاهز في كل لحظة للكتابة، وإليك يا أيها القارئ العزيز مثالاً عن كيفية إقتناصه الوقت من خاصرة الزمن.
فيما كنتُ أعدُّ فنجانين من القهوة، لا أخفي عليكم، تأخرت دقائق معدودة.
القهوة جاهزة (أبونا..(!
ضحك ضحكته المعهودة الرائعة، ثم قال، تعال وأسمع كي يبقى للقهوة مذاقٌ آخر!.. ثم تلا علي قصيدة.. ابتسم وبدعابة قال، أما كنتَ تستطيع أن تتاخّر دقيقتين أخريين في إعداد القهوة؟..
فقلت لماذا؟..
أجابني، كنتُ سأكمل القصيدة!
يكتب عن أي موضوع،، وما يكتبه، يكتبه بعمق.. الحياة عنده برمتها مواضيع لكتابة الشعر، إنه يكتب (القصة، المسرح، والدراسات التحليلية).. لكنّه نادراً ما ينتهي من كتابة القصّة أو المسرحية التي يكتبها!.. لأنه سرعان ما يعود ليغوص في عالم الشعر الممتدّ على مساحات روحه، فيترك هذه المتفرقات (قصة، مسرح، دراسات)، يتركها جانباً ويسبح في بحار الشعر، يروي غليله، لعلّه يعود لاحقاً إلى القصة أو الدراسة التي بدأ بكتابتها.
الأرض، قصيدة من قصائد الأب يوسف سعيد، تعبِّر عن الحالة الحميمية بينه وبين الأرض.. يتواصل مع الأرض تواصلاً عميقاً، فينبش بقلمه بطون الأرض مغترفاً الخيرات المكتنزة في أحضانها، ليقدِّمها للإنسان عبر الكلمة.
التراب، قصيدة مفتوحة على فضاء الرُّوح!.. الجملة الشعرية عند الأب يوسف سعيد، لا يمكن الإمساك بها، إنها جمل متشرشرة من أفواه النُجوم ومنبعثة من ضياء الوجود وحفيف الأشجار..!
عندما تناقشه في خيط القصيدة وما شابه ذلك، يجيبكَ.. أية خيوط تتكلّم عنها؟!.. فتسأله، طيب، على أي أساس كنتَ تكتب القصيدة؟
يجيبك ببساطة، لا يوجد عندي أي أساس وأية خيوط، القضية أعمق مما تظن، لأن الشعر عندي هو أشبه ما يكون بنزيف متدفّق!.. أكتبه بعيداً عن الخيوط والأساليب التقليدية لكتابة الشعر، أكتبه كما أحسّ، عفواً!.. (لا أحسُّ) أثناء الحالة الإبداعية، أشعر وكأني (مختَطَف) نحو الأعالي، نحو فضاء فسيح، أكتب وكأنّي غائب عن الوعي أو في قمّة وعيي!.. وأحياناً عندما أكتب نصّاً شعرياً، أجدني أتغلغل في نصٍّ آخر غير الّذي كنتُ (أنوي) كتابته.. وكم من المرّات، أكتب قصائد غير التي كنتُ أنوي كتابتها لحظة الكتابة، فالحالة الغليانية هي التي تحسم الومضات الإبداعية المتدفّقة.
السماء، قصيدة تحمل روح السموّ والارتقاء، يتوغّل الشاعر في فضاءات الكون، راغباً أن يرتشفَ رحيق الوجود، ليقدّمه على طبق من ذهب للقارئ العزيز، ثم يفاجئكَ بقصيدة الماء!.. وأي ماء هذا الّذي يكتب عنه؟ إنه ماءٌ زلال!.. يغوص الشاعر في أعماق البحار، غير آبه بخطورة الغوص، كل ذلك من أجل أن يقدِّمَ لكَ درراً لا تعثر عليها في قاع المحيطات، أنها درر من نوع خاص، إنّها درر الشاعر الشفاف الأب يوسف سعيد..!
الأرض
الأرض، تحمل بين طيّاتها السفليّة رعشة أبديّة
زمهريرها يمتصّ من أحشائها النموّ
تفتح أبواب مصاريع الأبديّة
تعبر مواكبها نحو نخائر الظلمة
آخر ملحقات شرائح الحديد
وتراب الفضّة والقصدير..
الأرض، تزيّن صدرها بأثداء ملوّنة من هضاب
تتغلّى جدائلها برائحة شمس شرقيّة
ناطقة بلغات مسيرات الغيوم
والسحب الصيفيّة
أسابيعها بيضاء من نصاعة شمس
تداعب أجفان يشوع بن نون
الأرض، تحتضن في أحشائها مهجة النور
تتلقّى قطرات الندى والغيوث من صدر الجَلَد
أيّتها الأرض،
وجهك قطعة من شرائح مطر البركات
بذارك من مطر برارة النُجوم البعيدة
الأرض تخبّئ في أوداجها منازل الظلمة
تجس أصابعها بدغدغات رفرفات فوق المياه..
قواعدها أبديّة
ركائزها من أنفاس النور.
الأرض تتحمّل انفطار الجَلَد فوق مياه الأمطار
تحتفظ بواطنها محيطات خفيّة..
رفرفات طائر العنقاء في سموات
ذات تجاعيد ملوّنة بدم الذهب
زحافات تحتضن الأبدية..
مقاطعات مدوّرة معبّأة
بأنفاس قمح الحقول..
الأرض، وحدها تعرف تفاعل المياه
وانحداراتها عبر شلالات
تصب في جزر سعيدة..
تحوّل خشب الجفر إلى مائدة
قرب مساكن البحار..
لاصطياد دلافينها
تحمل ماء السنين إلى فجوات
متغلغلة بين ضلوع صدر أخنوخ..
الأرض في انتظار عودة متوشالح
لارتداء قميص مقتطع من ستائرها
المعلّقة فوق مذابحها القديمة
الأرض، تصنع أسلحتها
من صوّانات واسطوانات تعانق تربة
تكوّن خاصرة لتربة البحر
تعانق غيوماً تتسلّى بجدائله
يسقط قناعها على حافات
تربة المراعي السعيدة..
الأرض خميرة من سلوى الصحارى
عجينها من ذهب الإبريز
تحمل أجنحة الكاروبيم ورفرفاتها
في فراغات عودة الآلهة
إلى مساكنها الفضيّة
تطبع على خدودها
خلاصةُ دم من وردة نيسان
الأرض، حَوافيها منارات قبالة عرش الملوك
عبارة عن كنوز سرّية
أنفاسها تشرق بخوراً
من عطور رداء الكهنة
الأرض تحمل فوق فوهات أسرارها
عصوَين من خشب السرو..
الأرض، عبارة عن خمسة كؤوس لوزيّة
بعُجْرها وأزهارها
تحمل على راحتيها
سبعة من سُرُج منيرة
بدم الأزهار الرَّبيعيّة
الأرض، معاصرها تحتوي على خلاصات
من حبّات زيتون مرضوض
تغذّي منائر هياكلها القديمة
زيتها يفتح أشرعة خياليّة
فوق بساط العبادة
مَن يدخل لمحاكمة أبناء الأرض؟
من يحمل توبيخها لإثارة العواصف؟
لابتلاع شهقة اللحظة
من أهداب يونس
أيّتها الأرض،
مَن يعلّق على منكبيك ثياب العزاء؟
مَن يحمل عطش الأبناء إلى آبار الحنان
ومنطلقات رعشة الأبوّة؟
الأرض في الصباح تزحف أقاليمها
نحو ضباب الأبديّة
تتغرغر في الغَسَق
بماء عصارات ندى الصحراء
فسائلها من أكتاف أزهار الجنّة
أيّتها الأرض،
مَن يحمل عطش أبناءك إلى آبار الحنان؟
مَن يحتسي رعشة من دفقات عروق الأبوّة؟
الأرض في الصباح يزحف ضبابها
إلى وهاد رغيدة
تطوي بين ترابها الخالد
تبر الذهب المصفّى
الأرض يوميّاً ترقرق دموعها بحصى الأودية
تغدق على أفواه الجياع من دسمها
ذراعها يغرف مراراً
من خبز التقدمات
آخر رعشة
في جسد حسّها الكهربائيّ
الأرض تحمل شبق لذائذها
إلى رؤوس الكواكب
تستوعب آخر تنهّدات صقيع
يفهرس كيانات المحيط البعيد
أسرجة تتدفّق منها نهارات
من ضوء الأفلاك
الأرض تحمل سفن صمتها
إلى الممرات البعيدة
تحمل ترسانة الإيمان
وسادة محبوكة من بخور الشفق الوليد
تحمل غفوتها إلى قارات
لتسمّد طاقاتها العذراء
الأرض، جواهر من كلمة خالقة
تحبك أوردة لقلب السماء
الأرض، تستقبل في الصباح
حفيفاً من أجنحة نحلة..
وعندما يأتي المساء
تأخذ رغيفها المستقطر من أحشائها
وترحل
الأرض رغبة أصيلة يتفصّد صمغها
تأخذ اضمامة من سنابلها الخضراء
تحفّ بها وجه أديم البحار
مراراً تصنع قوالب جملها وعباراتها
من زبد بحر لازوردي
الأرض كصفاء الضوء في بؤبؤ عيون الجواميس
حيث رونق النور
الأرض عبارة عن طاقات عذراء
تحمل رعشة من سحر السموات
الأرض شرائعها على موائد مذابحها
كفريضة موقّرة ومبجّلة
تردّد ملء حنجرتها هللويا
الأرض سبّحته من فرط كثرة عظمته
سبّحته بصوت الصور
سبّحته برباب وعود
سبّحته بدفوف ورقص
سبّحته بأوتار ومزمار
سبّحته بصنوج التصويت
بصنوج الهتاف
لك أيّتها القصائد أردّد
هللويا هللويا هللويا
الأرض تحمل بين أصابعها فرح الدفوف
ونغمات ساحرة من ذبذبات العود
ينبجس سحرها ينابيع خمرة معتّقة
دنانها معبّأة من طلّ السماء

الأب يوسف سعيد.. وداعاً

زهدي الداوودي

لا أعرف كيف دفعه القدر إلى أن يحط رحاله في كركوك، مدينة النار والنور.؟
ومن ثم يهاجر إلى بلاد الصقيع والبرد؟
هل كان يركض وراء الحرية؟
لم يدر بخلدي مثل هذا السؤال آنذاك، ولا في وقت لاحق. وإلا كنت سأطرحه عليه بلا شك.

كان ذلك في منتصف الخمسينات. كنت في الخامسة عشرة، حين قررنا، نور الدين الصالحي وجبران وأنا أن نزور الأب الشاعر يوسف سعيد في صومعته أو بالأحرى كنيسته الواقعة في منطقة كاورباغي. وجاء الاقتراح إما من يوسف الحيدري أو قحطان الهرمزي. وكان محتوى الاقتراح: "إنه معنا، يجب أن نزوره بين حين وآخر».

ما معنى معنا؟

كان ذلك أول مرة في حياتي أرى فيها سواء أكاهنا بملابسه الكهنوتية السوداء أم كنيسة بجوها السحري المقدس.

لقد انبهرت بالرجل وكنيسته.

وأدى هذا الانبهار إلى أن أتطرق إلى هذا الجو الكنسي وراعيه في روايتي "زمن الهروب" بعد أربعة عقود من الزمن.

علمت من كلماته الجميلة، التي نسيتها، ومن أسارير وجهه المشرقة وانطلاقه معنا بلا تردد، أنه معنا فعلا وإننا بدورنا معه أيضا. و لاحظت أنه كان في البداية متحفظا ومترددا، بيد أن جبراناً، أزال تحفظاته عندما بدأ يعرفنا به باللغة الكلدانية أو الأثورية لا أعرف بالضبط.

ولكنني ظللت أنظر إليه نظرة التلميذ إلى معلمه. وأحس هو بهذا. وحاول أن يزيل هذا الحاجز، ولكن عبثاً.

إذاً، كان هو المعلم، شئت أم أبيت.

كان الأب يوسف سعيد أحد أبرز عناصر جماعة كركوك.

أكبرهم عمراً وتجربة ودراية

وتمرداً، إذ أنه، من أجل الحرية، كان يخترق حتى الجبة السوداء التي كان يرتديها من أجل السماء، دون أن يدري أنه يقترب من الأرض، من الخطيئة،

ولكن:

من منكم بلا خطيئة؟

كان طائرا يحلق على أبعد نجمة، تاركا سربه ومغردا خارجه ومحاولاً أن يجعل من السماء والأرض منزلاً من الفردوس.

وظل يعيش مع هذا الحلم إلى أن غادرنا إلى الأبد،

طائراً فريداً من نوعه، يعشق الحرية ويبحث عنها في كل مكان.

سواء في أعماق السماء أم مجاهل الأرض.

وداعاً

الأب يوسف سعيد

لن ننساك

ولن تنساك

كركوك.

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:

www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

في رثاء (أبونا) يوسف سعيد

فاضل العزاوي

يصعب عليَّ هنا أنْ أودِّع صديقاً عزيزاً تعرَّفتُ عليه وأنا لا أزال تلميذاً في المدرسة، مثلما يصعب عليَّ أن أفتقدَ شاعراً مبدعاً تابعتُ أعماله طيلة أكثر من نصف قرن من الزَّمان. فرغم كلَّ المسافات التي كانت تبعدنا عن بعضنا، مرَّة حين انتقلتُ الى بغدادَ وظلَّ هو في كركوكَ وأخرى حين شدَّ رحاله الى بيروتَ ومن ثمَّ الى السُّويد فيما انتقلتُ أنا الى ألمانيا، حيث ظل يتّصل بي أو يكتب لي أو يزوِّدني بدواوينه الجديدة.

أتذكَّر، إن لم تخنّي الذَّاكرة، أنه طلب مني أن أكتب له مقدِّمة أحد دواوينه التي نشرها أثناء وجوده في السويد، مثلما تلقَّى هو الآخر كتابي "الرُّوح الحيَّة" الذي تحدَّثت فيه عنه حين كنَّا لا نزال في كركوك، ببهجة طاغية وحماسة شديدة فكتب مقالة مطوَّلة عن الكتاب، نُشِرَتْ في مجلّة المدى التي كانت تصدر في دمشق.

كان الأب الشاعر يوسف سعيد، أو "أبونا" كما اعتدنا على مناداته منذ أيام صبانا الأولى، قد دعاني أكثر من مرة لأكون ضيفاً عليه في السويد، متعهِّداً بأن يذبح لي بقرة على حدِّ قوله، ولكن كان ثمَّة دائماً ما يشغلني عن تلبية رغبته الكريمة، حتى تلقَّيت دعوة قبل عدّة أعوام الى مهرجان شعري يعقد في مدينة مالمو السويدية، كان الأب الصديق الشَّاعر يوسف سعيد قد دُعيَ إليه هو أيضاً، فاتصل بي ليتأكَّد من حضوري، فقلت له: لن أفوِّتَ هذه الفرصة، ينبغي أن نلتقي ثانية لنستعيدَ بعضاً من ذكرياتنا الجميلة في كركوك ونغتاب الشعراء السيئين على الأقل، كما كنَّا نفعل في الماضي الفالت من أيدينا. وهكذا أمضينا بضعةَ أيام سويَّة في الفندق الذي جمعنا، حيث تألَّق الأب يوسف سعيد كعادته رغم التَّعب الذي كان واضحاً على وجهه.

إلتقيتُ الأب يوسف سعيد لأوَّل مرَّة حين كنتُ لا أزال تلميذاً في المدرسة المتوسِّطة في كركوك. كنت قد نشرت قصيدة لا أزال أتذكَّر عنوانها حتى اليوم "رماد العودة" في مجلّة "المجلّة" البيروتية التي كان يشرف على القسم الثقافي فيها الشاعران يوسف الخال وأدونيس، والتي كان "أبونا" نفسه قد نشر فيها أيضاً بعضاً من شعره، فراح يبحث عنِّي ويسأل كلَّ من يعرفه ليدلَّه إلي ويتعرَّف علي. ولكم أن تتصوَّروا تعابيرَ وجهه حينما اكتشف أن الشَّاعر الذي يبحث عنه لا يزال صبياً لم ينبُتْ شاربه، في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره، ولكنَّه لم يشعرْني قط بذلك، بل والأدهى من كلّ ذلك أنه لم يكن يجد غضاضة في الجلوس معنا، نحن جماعة أصدقاء كركوك الشبان، في مقاهينا أو حتَّى زيارة بيوت بعضنا القريبة من وسط المدينة، وهو بردائه الكهنوتي الأسود دائماً، أو دعوتنا لزيارته في كنيسته التي كانت تقع على طريق محطَّة القطار والتي أراد لها أن تكون ما يشبه المركز الثقافي، فضلاً عن كونها بيتاً من بيوت الله.

يعترف أبونا الكبير بكلِّ وفاء، كدليل على عظمة روحه، أنه تعلَّم منا، نحن الشُّبان الصِّغار، الكثير ليس في الشعر فحسب وانَّما في النظر الى الحياة أيضاً، مثلما تعلَّمنا نحن أيضاً منه الكثير الذي عمَّقَ رؤيتنا الإنسانية في الشِّعر والحياة أيضاً.

لقد كسرَ الأبَ يوسف سعيد، وكسرْنا نحن أيضاً معه كلَّ الحواجز التي تفصل ما بين البشر، باسم المذهب أو الدِّين أو السياسة، مؤكِّدين أخوتنا الإنسانيَّة في الإبداع قبل أيِّ شيء آخر. ولا أعتقد أنَّه جعلنا في يوم ما نشعر بأنَّنا مختلفونَ أو أنَّه أقرب الى الله منَّا، بل أنَّه لم يكن يخطر حتى في بالنا أننا ننتمي الى قوميات وطوائف ومذاهب وأديان مختلفة، ولم يحدث قط أن أشارَ أحدٌ ما الى ذلك.

وفي النهاية: الا يعبِّر هذا عن الرسالة الحقيقية التي أراد السيد المسيح ايصالها الى البشر جميعاً في كلِّ زمان ومكان، تلك الرِّسالة القائمة على المحبَّة قبل أيِّ شيء آخر؟ لم يكن ارتباط الأب الكبير يوسف سعيد بالشِّعر والأدب مجرد ممارسة لهواية ما، وإنَّما طريقه في الوصول الى الحقيقة التي كرَّس كلَّ حياته من أجلها. كلّ قصائده وكلماته هي إشارات تدلُّنا على هذه الطريق التي أرادَ لنا أن نسيرَ عليها.

لقد انضمَّ أبونا وصديقنا الكبير يوسف سعيد الآن في العالم الآخر الى أجمل أصدقائه الذين سبقوه في الرَّحيل: جان دمو وسركون بولص وجليل القيسي وأنور الغساني، تاركاً وراءه أعظم الأثر في حياة جميع الذين عرفوه عن كثب، وهو أثرٌ سيظلُّ قائماً فترة طويلة من الزَّمن من خلال عمله الإبداعي الكبير. وإذا كان ثمَّة عزاء لنا، نحن الأحياء، في فقدانه فهو انه سيظلُّ حيَّاً في قلوبنا الى الأبد.

عن: الحوار المتمدن

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون